220

الأبحاث والدراسات

موزنبيق (*)

أ. د. السر سيد أحمد العراقي

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: تاريخ الأقليات الإسلامية في العالم (الجزء الأول) (أفريقيا)، (الطبعة الثانية) (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). ص ص ١٥٦ – ١٦٢ .

الفصل السابع

موزمبيـــــــــــق

لقد سبق القول بأن أهم الشعوب التي اتصلت بشرقي أفريقيا ـ منذ القدم ، وأبقاها أثراً في تلك البقعة من القارة هم العرب ، وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ، وكثرة التردد ، ونظام الرياح الموسمية في المحيط . وقد نظم العرب رحلاتهم وفقاً لنظام هذه الرياح. وقد نشط العرب في الاتصال بشرقي أفريقيا زمن دولة معين (من حوالي ١٣٠ - ٦٥٠ ق.م) ، وتوارثتها دولة سبأ (من حوالي ٩٥٠ ق.م - حوالي ١١٥ ق.م) ، ثم دولة حمير (حوالي ١١٥ ق.م - ٥٢٥م) ، وكان لهذه الدول نشاط كبير في الحركة التجارية البحرية والبرية ، وعملت على تنظيم طرق التجارة وتأمينها داخل الجزيرة العربية . بدأ ذلك على أيدي معين ، واستفادت سبأ من الطرق التي عبدها المعينيون فانصرفت جهودها لتنمية تجارتها الخارجية والداخلية ، حتى تمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم في المحيط الهندي وسواحل شرقي إفريقيا ، كما أن عهد وارثتها وهي دولة حمير ، يعتبر العصر الذهبي لازدهار التجارة والملاحة في تلك المناطق ، كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير ، وقد نوه القرآن الكريم برحلات قريش بعد تدهور دول الجنوب منذ القرن السادس الميلادي . وكان من نتيجة هذا النشاط العربي تقدم فنون الملاحة وبراعة العرب في هذا المجال . كما أن البحار الجنوبية صارت مألوفة ومعروفة عند العرب . وقد وصفها الرحالة الجغرافيون أدق وصف ، كما وصفوا نشاط العرب البحري والتجاري ، منهم ياقوت والمسعودي وابن حوقل وغيرهم . ويشير المسعودي إلى البحار الجنوبية بقوله : "...وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من الزنج"[1] .

---

[1] مروج الذهب، ج١، ص ١٠٨ - ١٠٩

ويضيف المسعودي عن الملاحة العربية ، وتطور فنون العرب ووصولهم إلى أقصى بلاد شرقي أفريقيا مثل موزمبيق وروديسيا بقوله : " ... وسكنت الزنج في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم إلى بلاد سفالة (في موزمبيق) ، وهي أقصى بلاد الزنج ، وإليها تقصد مراكب العمانيين وهي غاية مقاصدهم في (أسافل) بحر الزنج هو بلاد سفاله ، وأقاصي بلاد الواق واق، وهي ارض كثيرة الذهب ، كثيرة العجائب، خصبة ، حارة ، اتخذها الزنج دار مملكة ، وملكوا عليها ملكاً سموه وقليمى يملك ملوك سائر الزنوج "[1] .

لذلك يمكن القول أن عرب جنوبي الجزيرة العربية ، وخاصة عرب عمان عرفوا هذه البلاد قرون عديدة قبل الإسلام ، وتمكنوا من تأسيس المراكز التجارية في سهولة ويسر ، بعد أن بسطوا سيطرتهم ، وحلوا محل الفينيقيين والأفريقيين القدماء في الاستقرار ، وازدهرت تجارة العرب في العصر الإسلامي ، في عصوره المختلفة ، فوصل الإسلام إلى موزمبيق منذ زمن مبكر من وصول العرب والمسلمين إلى تلك البلاد .. والثابت أن الإسلام دخل موزمبيق عن طريق التجارة والدعوة . ومن المراكز الإسلامية المشهورة مدينة سفالة (سوفالا) التي زارها الرحالة ابن بطوطة في زمن ازدهار سلطنة كلوة الإسلامية (٩٧٥ هـ - ١٤٩٧م) ، وهي آخر ميناء إسلامي على سواحل شواطئ أفريقيا الشرقية . وانتشر الإسلام انتشاراً كبيراً في زمن سلطنة الزنج الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها في سياق هذا البحث مرات عديدة ، وذلك منذ القرن الرابع الهجري .

وأشارت بعض المصادر أن الإسلام قد وصل موزمبيق منذ زمن دولة الأخوة السبعة التي سبقوا آل شيراز مؤسسو سلطنة الزنج الإسلامية[2] . ففي عهد الأخوة

---

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٦. وقليمي أو واكليمي Waglim أو واقليمي Waglimi ومفردها مفلم Waflme هي الكلمة السواحيلية وإقليم Wagalame ومعناا زعيم.

Trimingham Islam in East Africa, p.4.

(٢)

Stigand, Op. Cit., p. 19./ Reusch, Op. Cit., p. 85.

السبعة امتد نفوذ إمارة مقديشو الإسلامية على طول ساحل الزاهية (بنادر) . فذكرت الوثيقة أن سكان مقديشو أول من وصلوا إلى بلاد سفاله في موزمبيق ، وأن سفنهم كانت تتردد على بلاد سفالة لاكتشاف مناجم الذهب الموجودة في تلك الجهات واستغلالها [1] . والمعروف أن سفالة أصبحت تحت سيطرة كلوة منذ أن دخلها علي بن حسن الشيرازي عام ٩٧٦م ،وعين السلطان علي بن حسن ابنه حسناً حاكماً عليها ، وعلى جزر كومورو ، كذلك.وظلت سفاله تحت سيطرة سلاطين كلوه حتى دخلها البرتغاليون في القرن الخامس عشر[2] .

كانت سوفاله أهم نقاط الارتكاز التي اتخذها العرب على الساحل الشرقي للقارة الأفريقية ، ثم أخذ التجار المسلمون والدعاة يتوغلون إلى الداخل ، وعرف المسلمون هذه المنطقة بجزيرة موسى السمبيق ، وزادت الهجرات الإسلامية إلى بر الزنج ، وكان المهاجرون من العرب والفرس ، من ممبسه وكلوة ، ونشط المهاجرون المسلمون في تشييد المدن الساحلية ، ومنها يتوغلون إلى الداخل . ويمكن تقسيم مراحل انتشار الإسلام في داخل موزمبيق إلى مرحلتين :

بدأت المرحلة الأولى من انتشار الإسلام في موزمبيق بتأسيس المسلمين لمدينتي موزمبيق وسوفاله ، وتوجد الأخيرة في منتصف دولة موزمبيق بالقرب من مدينة بيرا . وكانت سلطنة كلوة هي المسيطرة على هذه المدن ، منذ أن تأسست هذه الإمبراطورية العظيمة في عام ٩٧٥م ، وامتد نفوذها – كما سبق القول – إلى مناجم الذهب في سوفالا ، وهكذا كان نفوذ بني نبهان أصحاب السيادة على سواحل شرقي إفريقيا طيلة القرنين السادس والسابع الهجري ، وقد وصف ابن بطوطه في رحلته إلى بر الزنج

---

(١)

Enrico Ceruli, Op. Cit., Vol. 111, p. 165.

(٢) سفالة، أو سوفالا، اسم من أصل سامي وجدت جذوره في العربية والعبرية والسورية، ومعناها الأرض المنخفضة أو ارض الساحل المنخفض، ومن ثم فإن سفالة تعني تلك الأرض المنبسطة السهول التي تحتل مكانها الجغرافي في ساحل موزمبيق، وهذا المكان موجود أيضا في الهند، ويعتقد أن سفالة هي أوفير المشهورة بالذهب منذ العصور القديمة.

Reusch, p. 126, Franz Babinger, (Ency.) of Islam), Art Sofala, Vol. 4, p. 464.

في القرن الثامن الهجري أحوال المدن الإسلامية في ساحل شرقي إفريقيا ، وأشاد بازدهارها . وجاء وصف مماثل لرحالة برتغالي يدعى " دورت باربوسا " **Daurte Barbosa** ، وقد زار ساحل موزمبيق في سنة ٩٠٦هـ . وخلاصة القول أن الإسلام في المرحلة الأولى وصل إلى ساحل موزمبيق وتوغل إلى الداخل مع التجار المسلمين[١] .

أما المرحلة الثانية ، فقد بدأت بظهور البرتغاليين أمام سواحل شرقي إفريقيا . ففي نهاية القرن التاسع الهجري ، اكتشف " بارثلميو دياز " طريق رأس الرجاء الصالح ، وتابع البحار فاسكو داجاما الرحلات البرتغالية عبر المحيط الهندي ، وشهد شرقي أفريقيا صراعاً دموياً شنه البرتغاليون بتعصبهم الصليبي ضد الإمارات والمدن الإسلامية على طول سواحل شرقي إفريقيا . ووضعوا السيوف في رقاب الناس ، ودمروا مدينة كلوة ومساجدها الثلثمائة ، ودمروا مدن لامو وبيت وممبسه التي أصبحت شوكة في ظهورهم طيلة بقائهم في هذا الساحل . واستمر الصراع بين المسلمين والبرتغاليين قرابة قرنين تدور رحاه في سواحل شرقي أفريقيا حتى ليمكن القول أن مسرح الحروب الصليبية انتقل إلى هذا الساحل بكل فظائعه ، وأعمال الصليبيين الوحشية في كل مكان[٢] . وكان البرتغاليون قد بدأوا في إرسال أساطيل ضخمة إلى المحيط الهندي عندما اكتشف فاسكو داجاما الطريق إلى الهند عن طريق جنوب أفريقيا . وفي الفترة ما بين ١٥٠٠ - ١٥٠٩ سيطروا على معظم ساحل شرقي أفريقيا ، وأسسوا عدداً من المستعمرات ، وقد نجحوا ليس فقط في إخضاع إمبراطورية الزنج ، بل أخضعوا البلاد التي حول الخليج بما فيها مدن هرمز ومسقط ، بالإضافة إلى أجزاء من سيلان ، كما ضموا ملقا **Malacca** ومجموعة جزر الملايو ، وكثيرا من المناطق والمراكز المتناثرة في الهند نفسها . وكان من نتيجة أعمالهم الوحشية أن انسحب المسلمون من الساحل إلى الداخل الأفريقي ، ونشروا الإسلام في

---

(١) سيد عبدالمجيد بكر، الأقليات المسلمة في افريقيا، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) سيد عبدالمجيد بكر، المرجع السابق، ص ١٣٩/طرخان، الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصوةر الوسطى، مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن، ١٩٥٩، ص ٦٧ - ٦٨.

مدن موزمبيق الداخلية، ومنها وصل الإسلام إلى نياسالاند " ملاوى " وبحيرة تنجانيقا • وكان فاسكوداجاما في طريق عودته إلى لشبونه ، نزل في سوفالا ، ودخل موزمبيق وعين عليها حاكما • وفي عام ١٥١٢م أصبحت موزمبيق مركزاً لحاكم الساحل ، وبنى فيها البرتغاليون قصراً للحكم والإدارة، ووضعوا فيها حامية عسكرية • وتوافد على موزمبيق التجار البرتغاليون ، وبعض من مواطني البرتغال ، وكونوا نواة مستعمرة موزمبيق ، بينما توقفت الهجرة العربية • وهاجر كثير من المسلمين من الجنوب واستقروا في الشمال • ويلاحظ أنه عندما تخلص العرب في القرن الثامن عشر من الحكم البرتغالي ، ظلت موزمبيق مستعمرة برتغالية[1] •

وقسم البرتغاليون الإمبراطورية إلى أربع مجموعات من المحطات البحرية ، لكل منها حاكم يعينه نائب ملك البرتغال في الهند الذي اتخذ مقره في جوا بالهند • وهذه المجموعات هي :

١) ساحل شرقي أفريقيا • ٢) هرمز وتوابعها على ساحل العرب •

٣) جزيرة سيلان • ٤) ملقا •

وفيما يختص بشرقي أفريقيا ، فقد ارتكز البرتغاليون على القسم الجنوبي من الممتلكات العربية الإسلامية (موزمبيق وما جاورها) ، بسبب اعتدال المناخ ، وقرب مناطق الجنوب من مناجم الذهب الداخلية • وفيما يتعلق بالمناطق الشمالية فقد اكتفوا بالاعتماد على محالفة حكام مالندي الذين كانوا يتلقون من البرتغاليين معونة عسكرية •وظلت موزمبيق تحت الاستعمار البرتغالي الذي جاء في مطلع القرن العاشر الهجري (مطلع القرن السادس عشر الميلادي) ، واستمر حتى استقلال البلاد في سنة

---

(١) Reusch, Op. Cit., pp. 35 - 235.

١٣٩٦هـ (١٩٧٥م)[١] .

وكان عرب عمان قد نجحوا في قف التقدم البرتغالي ، بل أنهوا نفوذ البرتغال في معظم سواحل شرقي أفريقيا ، وأسس أحمد بن سعيد سلطنة عمانية ضمت معظم شرقي أفريقيا . إلا أن البرتغاليين تمسكوا بموزمبيق، ودام احتلالهم من القرن العاشر الهجري (السادس عشر) حتى الاستقلال . ولم يخضع المسلمون بسهولة للاحتلال البرتغالي ، فكثير ما تنشب الاضطرابات ضد البرتغاليين وقاوم المسلمون في موزمبيق نشاط البعثات التنصيرية في ظل الاحتلال البرتغالي ، ولم يقبل الأفريقيون في موزمبيق على نشاط البعثات التنصيرية بسبب فساد المنصرين والمقاومة الإسلامية لها . وكان هم البرتغاليين منصرفاً إلى الحصول على ذهب موزمبيق مقابل الأقمشة والخرز ، والرقيق مقابل الأسلحة الحديثة[٢] .

لقد ازداد انتشار الإسلام في عصر الاستعمال البرتغالي ، ونشط الدعاة في نشر الدعوة إلى الإسلام داخل البلاد ، إلا أن المصادر تختلف في بيان تعداد المسلمين في موزمبيق ، لكن الراجح أن عددهم يزيد على الثلاثة ملايين بنسبة ١٥ ٪ من إجمالي السكان . وتشير مصادر أخرى أن عددهم يبلغ ٢٥٪ من إجمالي عدد السكان[٣] . وينتظم المسلمون في موزمبيق تحت إشراف منظمتين رئيسيتين هما :

١) المؤتمر الإسلامي لموزمبيق ، ويمثل السنة .

٢) المجلس الإسلامي لموزمبيق ، ويتزعمه الشيخ أبو بكر إسماعيل مانجيرا .

وينتشر الإسلام بصفة خاصة بين قبائل ماكوا في شمال البلاد . وأيضا بين لوجندا – وماكوندى – دياو – وتسونجا . وتتجمع جماعات المسلمين على طول منطقة الساحل الشرقي للبلاد حتى لورنزماركيز حيث توجد فيها بعض المساجد ،

---

[١] صلاح العقاد، جمال زكريا قاسم، زنجبار، ص٢٢. اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث، ص ٢٨٦.

[٢] عبدالمجيد نصر، ص ١٤٠.

[٣] المملكة العربية السعودية ودعم الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٥.

وتحتل موزمبيق صفة مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي[1] .

ينتمي أغلب سكان موزمبيق إلى العناصر الزنجية المعروفة بالبانتو (بانتو الوسط) ، ومنهم الياو Yao ، والسواحيليون في النطاق الساحلي ، والشونا وتسنجا ، وهناك أقلية من الأسيويين المهاجرين ، واقلية من البيض معظمهم من البرتغاليين ، ويتركز السكان في النطاق السهلي ، حيث توجد أغلب المدن مثل موزمبيق وبيرا وسوفالا ومابوتو العاصمة . وتمثل الزراعة حرفة أساسية عند السكان، ويعمل بالزراعة ٨٢٪ من القوة العاملة . وتأتي حرفة الرعي بعدها . ولموزمبيق شهرة قديمة في إنتاج الذهب من منطقة سوفالا ، غير أن هذه الأهمية تلاشت بمرور الزمن ، وكشف عن خامات للفحم والحديد في بعض مناطق موزمبيق . وهناك أيضا الثروة الحيوانية ، بالإضافة إلى صناعات خفيفة مثل صناعة السكر ، وصناعة المنسوجات القطنية[2] .

إلا أن الإرساليات أفسدت أحوال المسلمين الاجتماعية والثقافية وغيرها ، وأهملت السلطات الاستعمارية أحوال المسلمين فالمساجد المنتشرة في القرى والمدن الإسلامية بسيطة متواضعة ، كما يعاني المسلمون في موزمبيق من التخلف وانخفاض المستوى وضعف التأهيل المهني، لذا يهاجر العديد منهم إلى الدول المجاورة للعمل في الحرف الشاقة . ويعاني المسلمون من رواسب التنصير في ظل الاستعمار البرتغالي ، كما يعانون من نفوذ إسرائيل الاقتصادي في المنطقة لا سيما في الأقطار التي يهاجر إليها العمال من موزمبيق . وكذلك تسيطر البعثات التنصيرية على التعليم المهني ، لذلك أصبحت الحاجة ماسة لإقامة مشروعات إسلامية وإقامة المدارس والمراكز والمساجد ، بالإضافة إلى الدعاة والكتب الإسلامية باللغة السواحيلية وغيرها .

---

[1] المرجع السابق، ص ١٣٥

[2] سيد عبدالمجيد نصر، الأقليات المسلمة في العالم، ص ١٣٦ - ١٣٧.